مسالك الاستدلال الحجاجي في الخطاب السوسيري

الباب الثالث – أنموذجا–

أ. جيلي محمد الزين

جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية–

الجزائر

ملخص:

موضوع هذا المقال هو النظر إلى مسالك الاستدلال التي يتبعها دو سوسير المحاجج داخل منظومتها وذلك بفحص طرق الانتقال من حجة إلى أخرى، حيث نسعى إلى الكشف عن المنطق الداخلي للغة الواصفة الحجاجية لسوسير من خلال قرائن التنظيم، مركزين في ذلك على اللحمة الدلالية بين الحجج باعتبارها مقصدا من مقاصد التدليل التي يرومها المحاجج.

Résume :

Cet article a pour objet d'examiner les résonnements et les arguments saussuriens dans leur stratégie globale, et d'examiner la progression d'un argument à un autre, tout en cherchant à mettre en évidence la logique du discours saussurien mettant l'accent sur le bloc sémantique entre les arguments, et les indices d'organisation conceptuelle du

métalangage argumentatif, de sorte que l'argument n'est pas pertinent en lui-même, mais plutôt tire sa pertinence de son emploi par l'auteur.

تمهيد:

نسعى في هذا المقال في ضوء ما تكشف لنا من مصادر مخطوطة(sources manuscrites) ومنشورات معاصرة(écrits de linguistique générale) ، دراسة الخطاب السوسيري المعقود لبيان الطرائق المنهجية الواجب إتباعها بغية التحديد العلمي الصارم لموضوع اللسانيات إلى استقراء أهم مسالك التدليل في الخطاب السوسيري مركزين في أثناء ذلك على محورين هما :

الأول : دراسة العلاقات القائمة بين الحجج.

الثاني: دراسة عبارات العقل القولية (rhétorique épistémique) باعتبارها سلسلة من الحدود تفضي إلى نتيجة.

والمقصود بالمنظومة الحجيّة هو دراسة البنية الاستدلالية للخطاب السوسيري؛ أي الاهتمام بدراسة منطق النص الذي يتخذ الفكر موضوعا له، حيث نسعى إلى توضيح منطق النص السوسيري ببيان الآليات المعتمدة في الإقناع ، وكذا المعطيات التي يبدأ منها الاستدلال (والتي قد تكون افتراضات ضمنية أو صريحة) ثم المبادئ التي يستدل بها و وفقا لها، ثم نتائج الاستدلال مركزين في ذلك على اللحمة الدلالية بين الحجج (bloc sémantique).

يتنزل موضوع هذا المقال في سياق الكشف عن الدعوى الرئيسية التي بني عليها الحجاج السوسيري، ثم إنّ الغاية من طرق هذا الموضوع هي الرغبة في توسيع دائرة تحليل الخطاب السوسيري لتتجاوز الاهتمام بالمصطلح في ذاته إلى علاقة المصطلحات فيما بينها باعتبارها تستبطن مفاهيم.

إنّ هذا التحليل، في اعتقادنا، من الأهمية بما كان ذلك أنه يتجاوز النظر إلى المفاهيم والحجج التي يسوقها المحاجج بطريقة ذرية أي باعتبارها مفاهيم مستقلة بذاتها قائمة برؤوسها، إلى النظر إليها في داخل منظومتها، و يكون ذلك بفحص طرق الانتقال من حجة إلى أخرى،

والانتقال(progression) كما هو معلوم هو الذي يخول تسلسل الاستدلال الحجاجي أي تقدم الخطاب وتناميه، ذلك أن الحجة لا تملك قوة في ذاتها إنما تتأتى قوتها من توظيفها من قبل المحاجج.

ومما لا مرية فيه أن الحجاج فعالية تداولية جدلية حيث لا يتم إلا باللغة و داخلها ذلك أن الإبيستيمولوجيا المعاصر قد بينت بما لا يدع مجالا للشك، أنه ليس بإمكاننا أن نفصل . في أي قطاع من قطاعات العمل المعرفي . أشكال التفكير عن أدواته و لغته و الموضوعات التي ينصب على دراستها. وعلى ما تقدم فإنّ الخطاب اللساني التنظيري ليس بدعا من ذلك إذ يستعيض عن " الفكر" بهندسة مفهومية أو معمار مفهومي مخصوص ينطلق من اللغات الطبيعية، وذلك في حال ما إذ عددنا أن ما يمكن أن يقال في اللغات الطبيعية هو الذي يحدد و ينظم ما يمكن التفكير فيه؛ و مثلما أنه لا محتوى بدون صورة فإننا لا نعرف صورة خالصة فقد يوجد فراغ فكري، لكن لا يمكن أن يوجد تفكير فارغ، بحيث يبقى وصف الفكر من حيث هو معان وعلاقات بين هذه المعاني أمرا متعذرا إلا من خلال العبارات القولية (وهذا هو مجال تحليل الخطاب اللساني الواصف) والمكونات الأخرى (الرمزية) لتؤسس مع ذلك أنساقا متنوعة ذات طاقة تعبيرية هائلة.

1 . بؤرة الاستدلال الحجاجي : إنّ مدار الباب الثالث في المحاضرات السوسيرية المعقود لحصر وتحديد موضوع اللسانيات يتمثل فيما يلي: ما هو موضوع الألسنية، موضوعها الكامل والملموس في الآن نفسه ؟[1]. وبناء عليه أمكن لنا صياغة هذا الموضوع الرئيسي على النحو التالي:

بؤرة الاستدلال الحجاج =: + حجج [قضية أو قضايا] .

–

حيث + حجج : الدفاع عن قضية أو قضايا حجاجية.

- حجج : نفي أو دحض قضية أو قضايا مرتبطة .

ولابد من الإشارة إلى أن سوسير على العكس مما هو عليه النص المنشور سنة 1916 قد لازم الربط في المخطوطات بين شرط تحديد موضوع اللسانيات وشرط بناء معرفة علمية ممكنة وصارمة في آن واحد، إذ بعد بيان بؤرة الاستدلال الحجاجي التي عقد من أجلها هذا الباب والتي صاغها سوسير على هذا النحو:

ما هو موضوع الألسنية، موضوعها الكامل والملموس في الآن نفسه ؟

انتقل بعد التعليق على صعوبة المسألة إلى استدعاء مجال حجاجي مشترك حيث يقول: « ذلك أن أصحاب العلوم الأخرى يباشرون أشياء معطاة سلفاً يمكنهم أن يفحصوها من زوايا مختلفة أما نحن معشر الألسنين فلا شيء من هذا القبيل»[2].

إنّ استدعاء سوسير لهذا المجال الحجاجي المشترك (لسانيات/علوم أخرى) من الأهمية بما كان ذلك أنه يبيّن لنا مقاصد الخطاب السوسيري الذي كان يروم بناء خطاب علمي صارم من جهة، كما كان يروم كذلك حمل اللسانيات على العلوم الأخرى حملا مطلقا دون قيد أو احتراز من جهة أخرى، كما وتظهر أهميته الجوهرية في حصر المُحاجة في مجال المعرفة العلمية الممكنة في زمانه ونبذ كل تفكير تأملي تخميني(ميتافيزيقي) محض حيث يفهم ذلك على سبيل الاقتضاء، بالإضافة إلى هذا كله فإنّ حصر الحجة الواردة بالنسبة إلى التنظير اللساني في المجال اللساني الداخلي فقط بمعزل عن الحقول المعرفية الأخرى أي؛ دون استدعاء المجال الحجاجي المشترك يعتبر تصورا اختزاليا فمنطلق الحجة في الاستدلال اللساني يجب أن يكون شموليا[3].

كما و يتجلي لنا من خطاب سوسير السالف وجها من الوجوه ذات الصلة بالبعد الحجاجي لخطابه الذي نستشفه من قوله: « أما نحن معشر الألسنين فلا شيء من هذا القبيل » في كونه قد عُقد لحل معضلة ومحاولة الإجابة عن إشكالية وجيهة.

إنّ أعقد معضلة واجهت الخطاب اللساني منذ نشأته . ولا تزال من أخطر العوائق المتحكمة في صياغة المناهج اللسانية، وفي علاقة اللسانيات بالمجالات المعرفية الأخرى . هي معضلة تحديد

موضوع العلم اللساني، وحصره وبيان طبيعته[4] إذ بدون هذه الخطوة الإجرائية الجوهرية . كما ورد ذلك في خطاب سوسير في معرض نقده لإجراءات المقارنين في مقدمة المحاضرات . يتعذر على أيّ علم كان صياغة منهج له.

يُرجع سوسير صعوبة تحديد، وحصر موضوع العلم اللساني إلى طبيعة هذا الموضوع (أي بنيته بالمعنى التقليدي) المستعصية عن الملاحظة والتناول (التجريبي أو الاختباري) المباشر[5] بحيث يتعذّر جعل اللغة موضوعا ماديا[6]، ومن ثمة فإنّ اللسانيات تختلف عن العلوم التجريبية الأخرى التي تعالج موضوعات (Objets) موجودة سلفا (تقدمها الطبيعة) لأنّه في العلم اللساني لا وجود لموضوعات مقدمة مسبقا(أي جاهزة)؛ بحيث يكون اللساني بعد ذلك حرًّا في تناولها بعدة وجهات نظر، بل هناك وجهات نظر فقط، وجهات نظر(أي مبادئ) إما صحيحة أو خاطئة[7]، وبناء على ما تقدم خلص يلمسليف (L.Hjelmslev) في سياق شرحه لمضامين الخطاب السوسيري إلى القول إنّه يتعذر في الخطاب اللساني الحديث عن نتائج نهائية، بل يمكننا بدل ذلك الحديث عن وجهات نظر نهائية فقط[8].

ولما كان التفسير العلمي، على حد قول الحاج صالح، في الحقيقة هو سلسة من العمليات الاستنتاجية والاستنباطية يجريها الباحث في الوقت نفسه على رموز القوانين المجردة وعلى أعيانها المشخصة[9] أمكن لنا بناء على هذا بيان العلاقة الجدلية بين الواقع المتكون من جملة الأحداث المادية والمحسوسة من جهة، وبين ما يتخذه العلم اللساني موضوعا له، وصورتها كالتالي:

ع ≡ [10] م، إذا وفقط إذا، كان ف صحيحا

حيث (ع) يرمز للواقع (المادي والمحسوس)[11] ، و(م) يرمز للموضوع، و(ف)[12]يرمز للفرض .

وبعد هذا التمييز بين جملة الأحداث المادية والمحسوسة من جهة، وبين ما ينبغي للساني أن يجري عليه أبحاثه ضمن هذا الواقع المادي والمحسوس، من جهة أخرى، نتساءل عن طرافة الإسهام السوسيري في هذه القضية الأصولية(= أصول المعرفة العلمية) .

إنّ الإسهام العظيم لدو سوسير. على حد تعبير ديكرو(O.Ducrot) [13]. والذي يعد أقل إنكارا[14] هو تميزه المنهجي في خطابه بين مفهومين جوهريين هما:

1. مادة اللسانيات (matière de linguistique).
2. موضوع اللسانيات (objet de linguistique).

لقد ميّز سوسير في خطابه بين مفهوم "مادة اللسانيات" وبين مفهوم " موضوع اللسانيات" ، ذلك أن الخطاب العلمي يسعى إلى توضيح المفاهيم التي يستند إليها، فهو بهذا الإجراء يقوم بعملية مراقبة وتصحيح ذاتي، كما أنه بصنيعه هذا يكون الخطاب العلمي مستوفيا لضوابط التداول الحجاجي من خلال مباشرته عملية تدقيق المعنى و التقليل من الوهم الحاصل في الكلمات، بحيث إنّ التحديد الدقيق في هذا السياق تنتفي معه معضلة تأويل المصطلحات.

لقد تفطّن سوسير إلى طبيعة الظاهرة (وليس الواقعة) اللغوية المتسمة بالتشابك، والتمازج بين عدة ظواهر نفسية، وفيزيائية، وفيزيولوجية واجتماعية، وفردية وتاريخية، وعليه لجأ سوسير إلى إستراتجية إقناعية من خلال انتقاله من التساؤل واستدعاء المجال الحجاجي المشترك إلى استراتجييه إيراد المثال .

2 ـ **مسلك التمثيل:** يؤتى بالمثال في الحجاج في غالب الأحيان إما لدحض قضية ما أو الدفاع عنها أو إحكام حجة معينة على غرار سوسير الذي أورد في خطابه المعقود لتحديد موضوع اللسانيات مثال الكلمة الفرنسية « nu» وعقب عليه بالقول: « إنّ الملاحظ السطحي الذي يكتفي بظاهر الأمور ينزع إلى أن يجد فيها شيئا لغويا محسوسا. ولكن فحصا فيه قسط أكبر من التمعّن يجعلنا نجد على التوالي أمورا ثلاثة أو أربعة مختلفة تمام الاختلاف بحسب الطريقة التي بها يتم اعتبار الكلمة؛ أي باعتبارها أصواتا أو باعتبارها تعبيرا عن فكرة أو باعتبارها موافقة لكلمة nudum اللاتينية»[15].

وحقيق أن نبيّن من خلال فحص القرائن النصية للقول المقتبس السالف وعلى وجه التحديد قرائن المعجم (les indices de lexique) كيف نسب سوسير مفردات التمعّن لأطروحته، في

مقابل وصف الأطروحة المرفوضة بالسطحية. حيث يتبدى لنا من خلال هذا أن سوسير قد انتقل من العالم المادي الخارجي للأحداث اللسانية في ذاته – الكلمة الفرنسية « nu» – إلى العالم الذاتي حيث بيّن وجهة نظره و أبدى جملة من الحجج غايتها هي تسويغ المرور إلى طرح آخر والقبول به ودفع المتلقي إلى المشاركة في هذا القبول، بغية اعتماده و ترسيمه نظرية.

كما نلاحظ تلميح سوسير إلى مُرسل موصوف بالملاحظ السطحي ليجسد من خلاله سياقا واقعيا ممكنا يحاجج ضمنه، وعليه أمكن لنا اعتبار الخطاب السوسيري حجاجيا لكونه قد جاء ردا على خطابات صريحة كانت أم ضمنية، فخطابه يطرح دعوى جديدة في فضاء خلافي ويقدم الحجج الداعمة لها.

وبعد عرض هذا المثال ذي الصلة الوثيقة ببؤرة الحجاج وبالسجل التفسيري المرتبط بالاستشكال وبناء المفاهيم العلمية، ينتقل سوسير مباشرة إلى الإفصاح عن مبادئه التي سيبني عليها حجاجه ويؤسس بها دعواه في الدفاع عن قضية أو قضايا حجاجية، ونفي أو دحض قضية أو قضايا مرتبطة ببؤرة الحجاج كما حددت في مستهل هذا التحليل.

3 ـ مسلك بيان المبدأ : يمكن لنا ردّ وجاهة الخطاب السوسيري وحصافته إلى محاولته تفسير القضايا الجوهرية للمجال اللساني بناء على أصول واضحة؛ بحيث لم يكن سوسير إلا رجل أصول[16] ومبادئ . (أو ما يمكن الاصطلاح عليه بالمقدمات المعرفية الضمنية والتي لا تتسم بالبداهة إطلاقا بل هي راجحة)، ثم البناء عليها للتوسع (الانتقال)[17] في التفسير دون فقدان الترابط المنطقي، بغية المحافظة على خيط التماسك العضوي للخطاب، ويتضح لنا ذلك جليّا في قول سوسير في المخطوطات المنشورة حديثا(2002) :« هناك خمس أو ست حقائق أساسية متصلة فيما بينها؛ بحيث مهما انطلقنا من واحدة منهن أمكن لنا منطقيا بلوغ كل الحقائق الأخرى » [17] .إلى جانب ما كان قد ورد في المحاضرات المشهورة 1916 من بيان البناء العقلي المنظم للنظرية ذو الطابع التركيبي في قول سوسير:« لكن غالبا ما يكون اكتشاف حقيقية من الحقائق أقل

عناء من إحلالها المحل الذي يليق بها»[18]. ويذهب مونان(G.Mounin) في تفسيره لمصطلح " المحل" الوارد في مقولة سوسير بأن المقصود منه هو المكانة التي تليق بها في صلب النظرية [19].

ولما كانت بِنيّة الظاهرة اللغوية كذلك والتي بيّنها سوسير حين أورد المثال السالف كان لا بّد من الناحية المنهجية تناولها من وجهة نظر واحدة (أو البناء على فرضية محددة مسبقا) وهو ما يوضحه سوسير حين يقول مقدما بذلك مبدأه : « وبدل أن نقول إنّ وجهة النظر تسبق الموضوع، نقول إنّ وجهة النظر هي التي تخلق[20] الموضوع ».[21]

من المعلوم أن هذا المبدأ الحجاجي متعذر لو لم يكن الموضوع (اللسان = langue) شيئا مختلفا تماما عن المعطى التجريبي[22]، وبناء على هذا المبدأ الأصولي السالف يطلب سوسير من اللساني أن يختار عمدا قبل كلّ بحث المنظور (النسق الافتراضي) الذي سيعتمده (يبنى عليه) لتفحص الظواهر والأحداث اللغوية والذي سيتيح له صوغ الموضوع العلمي[23] بالمعنى الحصري له[24] بحيث نلفي أنّ معيار العلمية كما قدمها سوسير في خطابه إنّما تعني أولا، وقبل كل شيء، تغيير وجهة النظر إزاء الموضوع المطروق منذ القديم ؛ أي تغيير وجهة النظر من حيث التحديد (délimitation) الصارم للموضوع. وعلى ما تقدم نخلص إلى القول إنّ وجهة نظر اللساني هي التي تخلق موضوع اللسانيات أو تخترعه بعبارة اللساني كالفي[25].

وخرج سوسير من مبدئه الحجاجي السالف " المنظور يخلق الموضوع " سالكا سبيل تحقيق مبدأ انسجام الخطاب إلى القول إنّ الظواهر المتصلة بظواهر التواصل البشري بصفة عامة وكيفما نظرنا إليها تبدو لنا ذات طبيعة مزدوجة. ولكي نشرح الحجاج السوسيري جيدا بخصوص هذه القضية نعود إلى بسط التمييز السابق بين مفهومي " مادة اللسانيات" و" موضوعها " ، ذلك أن سوسير قد أدرج في منظومته الاصطلاحية المصطلح المدرسي "مادة" للدلالة على كل الظواهر المتصلة باللغة البشرية، وكل أحداثها التي نلاحظها في عملية التواصل البشري، غير أنّ نظرة مُتبصرة في هذه الظواهر تظهر لنا مدى تعقدها وتشابكها وترابطها فيما بينها، ومن جملة هذه الترابطات ارتباط الصوت بالأعضاء الفيزيولوجية المُحدثة

له من جهة، وارتباطه من جهة أخرى بالفكرة التي يُمثلها، وكذا ارتباط الظواهر اللسانية بالفرد من جهة وبالجماعة من جهة أخرى، ثم علاقة هذه الظواهر الأخيرة في مجملها بالزمن.

ونتيجة لهذا التشابك السالف، ومهما كان الجانب، أي وجهة النظر التي نتناول من خلالها ظواهر اللغة البشرية الطبيعية (Langage)، فإنّ موضوع اللسانيات الكلي (intégral) والوحيد . الذي افتتح به سوسير خطابه بصيغة التساؤل . لا يقدم لنا نفسه في أي موضع من المواضع السالفة الذكر، وبغية الإجابة عن هذه الإشكالية سلك سوسير مسلك الحجاج بالافتراض حيث يلزم من هذا المسلك خيار منهجي حاسم يفرض علينا اللجوء إلى تبني إجراءين (فرضين) هما:

. الإجراء (الفرض) الأول: أن نتناول جانبًا واحدًا من القضية كلها كعلاقة الصوت بالفكرة على سبيل المثال. وبهذا الإجراء . حسب سوسير . نخاطر بعدم إدراك تقابلات أخرى (صوت، فكر) (صوت، أعضاء النطق)، (لسان، فرد)، (لسان، جماعة)، (لسان، زمن)...الخ.

إنّ تعقيب سوسير على الإجراء (الفرض) الأول يمكن فهمه على سبيل الاقتضاء على أنه يبني اعتراضه على إيراد حجة من مقتضيات صحة المعرفة العلمية مؤداها تعذر بناء العلم على أساس استقراء ناقص أو تشويه للواقع.

الإجراء (الفرض) الثاني: أن نتناول كلّ الظواهر المتصلة بظواهر التواصل البشري بصفة عامة (= المادة) فيظهر لنا الموضوع بمثابة كتلة غامضة ومشوشة من الأحداث بلا رابط منطقي بينها[26]. ويرجع سبب غموض وغرابة (وهو تعبير سوسير[27] هذه الكتلة إلى كون الظواهر التي تشتمل عليها مُتنافرة أي غير مُتجانسة فيما بينها، فهي أحداث فيزيولوجية (أعضاء النطق، المراكز الدماغية المسؤولة عن الكلام...الخ)، ونفسية (سيكولوجية) كالترابط والتداعي (association) النفسيين بين الصوت والفكرة واجتماعية كعلاقة الوضع باشتغال (والاشتغال غير الاستعمال) اللسان، وتاريخية كعلاقة الظواهر اللسانية بالزمن أي علاقتها بالتاريخ بمعناه الشامل، وفردية كتنوع هذه الظواهر بتنوع الاستعمال وتميزها من فرد إلى آخر.

وبجملة واحدة فإنّ المقصود بمصطلح المادة في الخطاب السوسيري هي مجموع الظروف والشروط التي لها صله من قريب أو من بعيد بالنشاط اللساني، ولما كان التبرير والتعليل (Raisonnement) من وسائل الحجاج جاز لنا أن نتساءل ما هي التعليلات السوسيرية التي أوردها في اعتراضه على الاجراء (الفرض) الثاني ؟.

التعليل الأول صاغه سوسير من خلال طرح السؤال التالي:

هل المادة قابلة لدراسة علمية مباشرة ؟.

الإجابة: يتعذر دراسة المادة دراسة مباشرة، وحجة سوسير التي بنى عليها الدحض تتمثل في عدم تجانس المادة [28].

ثم يسترسل في إيراد الحجج والتعليلات لتعضيد دعواه حيث يورد سوسير تعليلا ثانيا متضمنا في الحجة التالية :

إذا ما عزمنا على دراسة المادة (الظواهر السابقة كلّها في آن واحد)، نكون بهذا الإجراء قد فتحنا الباب على مصراعيه لعلوم متعددة مثل علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والنحو المعياري وفقه اللغة والفيلولوجيا[29]، ثم وبسبب عدم تجانس موضوع الدراسة تنتفي كذلك سمة النظامية عن المنهج الذي يتفرع أساسا من تحديد الموضوع حسب النظرية السوسيرية[30]

إنّ سوسير في هذا المقام في بناء خطابه يكون قد سلك آلية البديل[31](المجال التداولي) حيث لم يكتف ببيان بطلان اتخاذ المادة موضوعا للسانيات وتقديم الاعتراض الذي بنى عليه التفنيد، بل حاول بناء نظام معرفي جديد. ولمّا كان تحديد الموضوع من الصعوبة بما كان نعود إلى المبدأ السوسيري السابق المتمثل في قاعدته "المنظور يخلق الموضوع" ولا ينبغي لنا في هذه المرة ترك حدّ من الحدود في هذه المصادرة بدون تعريف كما ينبغي علينا كذلك حملها على محملها الصحيح فوجهة النظر (المنظور) تعني الفرض كما أسلفنا.والفعل "يخلق" يعني القدرة الإنشائية، أي تدخل الذات المُدركة (اللساني) بتأويلها العقلي للأحداث المادية الأولية. ذلك أن مطلب تحصيل العقلانية أقوى من مطلب الصحة المنطقية والسلامة المنطقية معا.

أما مصطلح موضوع (objet) فيعني عنده حاصل النظر إلى المادة[32]، ومعنى هذا أنّ اللساني ينشئ الموضوع أي يقوم بتحديده وصياغته ضمن المادة فالموضوع على هذا ناتج عن التحليل[33]. وبناء على ما تقدم يتضح لنا جليا أن المفهوم السوسيري للموضوع بعيد كلّ البعد عن المفهوم الوضعي له[34].

ولكي نشرح القضية جيدا نرجع إلى المبدأ السالف ونعبر عنه بمصطلحات القضية المنطقية كما يلي:

يوافق الموضوع المادة، إذا وفقط إذا، كانت وجهة النظر صحيحة.

وشرح القضية يستلزم أن نستدرك بالتساؤل: ما هي شروط صحة وجهة النظر؟، ومن ثمة صحة الموضوع لأنّه يتفرع منها (لازم منها) أو تخلقه بالتعبير السوسيري؟.

ثمّة شرطان أساسيّان يفرضان صحة الموضوع وهما:

الشرط الأول: يجب أن يكون الموضوع كلا بذاته[35] (أصلا قائما بذاته) أي نظاما مغلقا محكوما بقوانينه الداخلية.

الشرط الثاني: أن يكون الموضوع مبدأ تصنيفيا قابلا لإحلال النظام في المادة اللامتجانسة .

إنّ الفائدة المنهجية التي تستفاد من تحصيل هذا التمييز تتلخص في كون الموضوع الذي هو حاصل جمع الشرط الأول والثاني[36] يمثل قاعدة جيدة لفهم(classification) المادة اللامتجانسة.

وإذا كانت فائدة تحديد الموضوع منهجيا هي جعل المادة معقولة، فإنّ الطبيعة المنهجية لهذا التمييز تتمثل في كونه تمييزا إجرائيا(opératoire) تتفرع منه مناهج تحليل اللسان كما يتم من خلاله تحديد كل الألسنة الخاصة، وهذا ما بيّنه سوسير في تميزه بين اللغة (langage) من جهة واللسان (langue) والكلام (parole) من جهة أخرى، وما هذا التمييز إلا نتيجة منطقية للتميز السابق (أي متفرع منه) بين المادة والموضوع. وبلزوم هذه المفاهيم السالفة

بعضها من بعض تتكشف لنا خاصية جوهرية من خصائص الملفوظ العلمي وهي لزومه من الاستنتاج.

كما يتكشف لنا كذلك من خلال فحص وتمحيص المفاهيم السوسيرية السالفة خاصية جوهرية أخرى لا تقل أهمية عن الخاصية السالفة ألا وهي خاصية الترابط المفهومي ذلك أن الأفكار كما تشيعه الأدبيات الأصولية ليست أحكاما منعزلة بعضها عن بعض، إنما هي في مقابل ذلك مندمجة فيما بينها، بحكم توقف اللاحق منها على السابق وبحكم سريان التداعيات وتدفقها العضوي المسترسل، لكي تكوّن أنساقا منسجمة قليلا أو كثيرا.[37]

وبعد هذا الذي تقدم ينتقل سوسير في مسيرة تعميق المفاهيم وشحذها . حيث كان يسعي إلى بناء اللسانيات بناء نظريا . إلى إستراتيجية حجاجية لا تقل أهمية عن سابقتها، طالبا في ذلك تحصيل الإذعان وهذه الإستراتيجية تتمثل في الحجاج التقويمي ذي السبيل السجالي.

4 . مسلك الحجاج التقويمي: يقصد بالحجاج التقويمي في أدبيات تحليل الخطاب من وجهة تداولية إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر إلى فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط و ما يقتضيه من شرائط ، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يُلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها وهكذا فإن المستدل يتعاط لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية، حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه"[38]. يتجلى هذا الضرب من الحجاج في الخطاب السوسيري في شرحه لفحوى مصطلح اللغة (langage) الذي أدرجه في منظومته الاصطلاحية للدلالة على تلك القدرة الفطرية التي جُبل عليها البشر الذين وهبوا أعضاء النطق، على أن سوسير في هذه القضية وفي هذا السياق بالذات يسلك سبيل الحجاج التقويمي حين

يحاور نفسه، وذلك حين يعارض القول بطبيعية اللغة مطلقا، ويحتج بكون أعضاء النطق التي تكوّن جهاز التصويت لم تخلق خصيصا للكلام كما خلقت القدمان خصيصا للسير، ثم يعترض سوسير في هذه النقطة بالذات على ما ذهب إليه العالم الأمريكي واتني من القول بالمصادفة في مسألة اللغة حيث أرجع واتني[39] اختيار المقاطع الصوتية بدل الحركات إلى محض الصدفة؛ بمعنى أنه كان بمقدور الإنسان أن يستعيض بالحركات (الصور البصرية) عن الصور السمعية، وفحوى الحجة التي عارض بها سوسير واتني هي استناد اللغة على مُقوّم بيولوجي عام الوجود (أكثري) يشترك فيه جميع البشر من جهة ما هم بشر يمكن تشبيهه بالقدرة على التغريد عند الطيور، على أنّ هذا لا يعني أننا أمام مفهوم بيولوجي محض يمكن تمثيله بمعادلة كميائية نصف بها نشاط الخلايا الدماغية المتحكمة في هذه القدرة ، وهو مطلب ممكن نظريا بشرط أن لا يكون الدليل(الحجة) في هذه القضية أقل وضوحا من المدلول الذي نريد نصب الدليل على صدقه. وبعد هذا الذي رأيناه في ما تقدم من طرائق حجاجية حوارية دالة على مجادلة بالحضور (in praesentia) ومجادلة بالغياب (in absentia) يسترسل الخطاب السوسيري سالكا سبيلا من سبل الحجاج التقويمي وذلك حين يلجأ سوسير إلى إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرته على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، حيث يغدو مدعيا ومعترضا في الآن نفسه، إذ بعد دحضه لحجة المصادفة كما أسلفنا وترجيحه للقول بالملكة الطبيعية العامة الوجود، يعود ويعترض على دعواه:

إنّ الملاحظة السديدة الأولى التي نلاحظها في هذا المقام حول البنية التنظيمية للحجاج السوسيري هي أن خطابه جاء متدرجا في تضعيفه للقول بطبيعية اللغة، كما أن الملاحظة الوجيهة الأخرى هي لجوء سوسير في سعيه إلى إحكام مسالك الوصول إلى الحقيقة العلمية إلى تصحيح الأدلة في سياق تناظري بين المستدل والمعترض، على أن المعارضة التي تنهض بوظيفة التصحيح والتقويم لم تأت من المفكرين الحاضرين في خطابه ضمنيا (النحاة الجدد، واتني، وبوب (F.Bopp))، أو لم يسندها إلى أحدهم بل طلبها سوسير المستدل حين وثوقه من

عدم إمكانها، وفحوى هذا الاعتراض كما يلي: بغض النظر عن كون اللغة قدرة طبيعية أم لا، فإنّها لا تمارَس إلا بالوسيلة التي تخلقها وتقدمها الجماعة، وهذه الوسيلة في جوهرها ظاهرة ناتجة عن الاجتماع الإنساني. [40] فهي لازمة منه.

يصطلح سوسير على هذه الوسيلة التي تخلقها الجماعة[41] بمصطلح اللسان الذي هو جملة الأوضاع الضرورية التي يتبناها المجتمع لتسهيل ممارسة ملكة اللغة عند الأفراد[42]، فالملكة على هذا مختلفة عن اللسان المنطوق المحصّل(المنجز) غير أنّه مشروط بها، إذ لا يمكن أن يمارس إلا بها، ومن ثمّ جاز للمستدل له أي المتلقي الذي هو سوسير باعتباره أول متلق لأفكاره أن يتساءل عن كيفية تحصيل هذه الملكة بالفعل، وذلك بعد بيان أن مجاراة القول بطبيعية اللغة لا يفسر لنا كيفية ممارستها. وهذا يعني أن القول بطبيعية اللغة قد فقد وجاهتهه وعليه أدرج سوسير طرفا آخر هم الأفراد القادرون على التواصل لأنهم وهبوا ومنحوا الملكة الفطرية التي هي اللغة فهي موجودة فيهم بالقوة.

للإجابة عن هذه الإشكالية نعود لنلخص كلّ المفاهيم السوسيرية الأساسية السالفة وهي:

1 . اللغة: ملكة فطرية لدى الجنس البشري.[43]

2 . اللسان: وسيلة اجتماعية[44] في جوهرها تسهل ممارسة ملكة اللغة عند الأفراد.

3 . الكلام: فعل فردي يحقق الفرد من خلاله ملكة اللغة عن طريق اللسان.

وعليه يمكن أن نستنتج من كلّ هذا أنّ اللغة مفهوم نظري محض (مجرد خالص) يتحقق عن طريقين:

الأول : ذو طابع اجتماعي وهو اللسان.

الثاني : ذو طابع فردي[45] وهو الكلام.

ومن هذه المفاهيم الثلاثة السالفة تتأى اللغة ، بحسب تعريف سوسير لها، عن ميدان اللسانيات فهي واقعة خارج الاهتمام والدراسة اللسانية و حجته في ذلك أنها موضوع من مواضيع البحث الفلسفي التأملي التخميني المحض فهي بذلك واقعة خارج مجال المُحاجة الذي حصره

سوسير، كما أسلفنا، في مجال المعرفة العلمية الممكنة في زمانه، وأمّا الكلام فهو ثانوي من حيث هذا الاعتبار ومن هذه الحيثية فقط[46]؛ بحيث يمكن أن يكون بناء على ذلك موضوعا لعلم خاص قائم بذاته[47]. ومما تقدم يجيب سوسير عن الإشكالية التالية : ما هو موضوع اللسانيات الكامل و الملموس في آن واحد [48] ؟.

إنّ موضوع اللسانيات الكامل والملموس في آن واحد هو اللسان و دليله في ذلك يتمثل في كون اللسان هو المفهوم الجوهري ضمن كل ظواهر مادة اللسانيات. واللسان في ذاته (باعتباره نظامًا من العلامات)[49] هو الذي يولّد الأنساق النظرية والمنهجية لدراسته هو فحسب[50]. ونستدرك بالقول إنّ اللسان في هذا المقام هو المبدأ المُنظِم (principe ordonnant) لجملة ظواهر المادة قاطبة (لأنّه متسم بالتجانس)، لذلك أعطاه سوسيرالأولوية المنطقية لأن يكون موضوعا للسانيات على أنّ سوسير . خلافًا للصورة التي قدمها عنه الناشرون وجلُّ الشراح . قد ألحّ على دراسة الألسنة ؛ أي تنوع الألسنة واختلافاتها(المحاضرة الثالثة1911) إنّ الحجة التي قدمها سوسير في بنائه على مفهوم اللسان كصورة باعتباره المفهوم الأساسي في المخطط التفريعي للمفاهيم الذي يتماسك به الخطاب تتجلي تمام الجلاء فيما صرح به سوسير لأحد طلبته المهتمين بطرافة فكره والمتأثرين بجدته، وكان ذلك سنة 1909، حيث قال له: « إنّ اللسان مُحكم (صارم) لا بدّ له من نظرية مُحكمة [= خطاب واصف منسجم] »[51]

ولكي يبيّن سوسير مسألة استقلالية المنهج اللساني وعلاقتها بتحديد الموضوع التي شغلت بال المنظرين والباحثين منذ القديم في هذا المجال المعرفي، يعود ليناقش العالم الأمريكي واتني سالكا في ذلك سبيلا سجاليا في تقديم مفاهيمه ، ذلك أن واتني . حسب سوسير . يكون قد أفلح في وضع اللسانيات على محورها الأساسي وفي تغيير محور اللسانيات[52]عندما نظر إلى اللغة موضوع العلم من الوجهة الاجتماعية العرفية ، غير أنه برأي سوسير، لم يكمل الشوط حتى النهاية[53] وذلك بسبب إخفاقه في إدراك الطابع الاعتباطي الجذري لمؤسسة (institution) اللسان.

في مقابل ذلك يلح سوسير على أن هذا الطابع الاعتباطي هو ما يميزها عن باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى (مؤسسة الزواج مثلا).

إنّ التساؤل الأخير متصل أشد الاتصال بالمجال الحجاجي المشترك الذي استدعاه سوسير في أول الباب والذي يمكن صياغته على النحو التالي: ما هي المعايير العلمية التي نطبقها في دراسة اللسان؛ بحيث تحوز اللسانيات في أعقاب ذلك على صفة العلم؟

إنّ التساؤلات الأصولية السالفة يمكن أن نفسرها خارج النص السوسيري أي بردها إلى سياقها الإيديولوجي الموسوم بالنزوع إلى تكريس الاستقلالية المطلقة للسانيات باعتبارها علما، وذلك لكون العالِم (اللساني) في الحقيقة كما تشيعه الأدبيات الفلسفية ضحية لتعريفاته[54] لأنّ التعريف في حقيقته الأصولية الحديثة والمعاصرة هو أداة إجرائية يباشر بها العالم نشاطه المعرفي، أي يبني عليها ليتوسع في البرهان ويتسلسل بها الخطاب، وعلى هذا فإنّ تعريف اللسان . بالمعنى السوسيري . لا يعني إطلاقا تقديم تعريف جوهري[55](بالمعنى الفلسفي) مُطلق[56] ؛ بحيث يوافق كلّ المُعرّف والمُعرّف وحده، ويطابقه في الواقع (كما يظن الاعتقاديون السذج)، وإنّما التعريف ما هو إلا تصور(وجهة نظر) ليس له من محك نقد إلا النظر في ائتلافه في البناء النظري[58] مع القضايا الأخرى ثم النظر إلى قدرة هذا البناء النظري على تفسير عدد كبير من الظواهر[59](تحقيق الشمول) بعدد قليل من المبادئ (تحقيق الاقتصاد)، بغية التوسع أو الانتقال النظامي (Progression systématique) في الاستدلال، والربط بين قضايا الخطاب؛ أي قدرته التفريعية[60]. كما ويجب أن لا يتعارض فحوى التعريف مع ما هو متعارف عليه في العلوم المتاخمة للسانيات(علم النفس، علم الاجتماع) وهو ما أشرنا إليه سالفا من كون الحجة في الخطاب اللساني لابد أن تكون شمولية. يحدد سوسير طبيعة موضوع اللسانيات الذي يضمن لها استقلالية المنهج حيث اللسان عنده مؤسسة اجتماعية لكن ليست كباقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى لأن الطبيعة الاعتباطية الجذرية التي يتصف بها تجعله أصلا قائما بذاته يتعذر حمله على الظواهر الأخرى؛ أي لا نظير له من بين المؤسسات الاجتماعية الأخرى،

ولابّد من الإشارة إلى أن سوسير يستند إلى صفة الاعتباطية الجذرية باعتبارها مقدمة[61] ينطلق منها البرهان. وعلى كل ما تقدم نخلص إلى نتيجة مؤداها إنّ التحديد الصوري لموضوع اللسانيات العامة هو الذي أكسبها الشرعية العلمية ذلك أنها واستنادًا إلى إبيستيمولوجيا العلوم فإنّ اللسانيات العامة تتميز عن سائر العلوم وعن العلوم التى تباشر ظواهر اللسان البشري من حيث صياغتها الصورية لموضوع واقعي بجعله موضوعا للمعرفة، وهذا الموضوع الصوري ناتج عن إجراء جوهري يتمثل في الاعتماد (البناء) المسبق على منظور (perspective) متميز إزاء موضوع واحد، حيث يفضي هذا الإجراء إلى تميز الموضوع المادي (الخام) عن الموضوع الصوري.

خاتمة

لقد تكشف لنا في هذا المقال أنه يتعذر علينا الجزم أو التسليم بوجود مفاهيم و حقائق علمية منتزعة عن أنساقها المفهومية ؛ أي التسليم بوجودها المستقل القائم بذاته بحيث يفضي بنا هذا التسليم إلى التعسف، كما تكشفت لنا معالم بنية الخطاب السوسيري في هذا الباب الثالث المعقود لتحديد موضوع اللسانيات العامة والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

يبدأ سوسير استدلاله بطرح السؤال الذي هو بؤرة الحجاج، ثم ينتقل إلى إيراد مثال له صلة بالإشكالية المطروحة، ثم ينتقل إلى نقد وجهات نظر اللسانيين السابقين ولمعاصرين ويبيّن قصورها ، ثم بعد تضعيفها وتفنيدها يورد سوسير المبدأ الذي يبني عليه حجاجه سالكا في ذلك آلية البديل (المجال التداولي) ثم النتائج التي تلزم من البناء على هذا المبدأ.

كما أن أهم ما نخلص إليه في خاتمة هذا المقال المعقود لبيان مسالك الاستدلال الحجاجي في الباب الثالث من المحاضرات السوسيرية هو أن الخطاب العلمي في جوهره ليس مجرد رصف للمفاهيم بطريقة عشوائية، كما أنه ليس كمًا فقط (بالمعنى المنطقي لمصطلح الكم) من المفاهيم، كما أنه ليس كذلك رُكامًا من الأفكار، (كما يُفهم ضمنيا من أقوال التوفيقين) وإنّما هو نظام (أي كيف بالمعنى المنطقي) يتمثل في الطريقة التي ترتبط فيها المقدمات بالنتائج، بحيث إذا سلمنا بالمقدمات لزم علينا التسليم بالنتائج، وأهم العلاقات التي تربط المقدمات بالنتائج هي علاقة التضمن(implication) في الاستدلال الاستنباطي، كما أن الخطاب العلمي ليس مجرد محاولة جديدة للتأليف(synthèse) بين الأفكار القديمة والحديثة على حد قول ريشلنج (Reichling) ذلك أن التأليف لا يمكن مقارنته بسبب بساطته بالنظام أو النموذج المعرفي؛ أي بالخطاب المتماسك فالأفكار القديمة غير قابلة للاندراج في النموذج المعرفي الجديد .

قائمة المصادر والمراجع:

1. فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، تونس، 1985، ص .27 .

2. المرجع نفسه، ص27.

3. حافظ إسماعيل علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبيستمولوجيا في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 2009، ص.29.

4. نوام تشومسكي، المعرفة اللغوية: (ترجمة محمد فتيح)، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993 :« ولذلك فإنّ تحول النظرة من المفهوم الفني(اللغة المجسدة) إلى المفهوم (اللغة المبنية داخليًا) التي تفهم أنها مادة البحث هو تحول صوب الواقعية من ناحيتين، هو تحول صوب دراسة موضوع مادي بدلاً من بنية اصطناعية وتحول صوب دراسة ما تقصده في الحقيقة بكلمة اللغة ». ص 89.

5. وبإقرار سوسير لهذا المبدأ المتمثل في أنّ المجال اللساني لا يقدم وحدات محسوسة يكون قد أحدث تحولا معرفيا من حيث مخالفته للسانيات التعليلية التاريخية واللسانيات البيولوجية (الوضعية) ويظهر لنا هذا الموقف السوسيري بشكل صريح في الصفحة 153 من المحاضرات، الأصل الفرنسي.

6. Christian Nique ,Grammaire générative hypothèses et argumentation Paris, Armand colin 1978: « [...] impossibilité d'objectiver la langue ».p. 9.

7. Emile Benveniste, problèmes de linguistique générale, Tunis, Cérès, 1995 : « Ailleurs] autres sciences] il y a des choses, des objets donnés, que l'on est libre de considérer ensuit a différents points de vue. Ici[en linguistique] il ya d'abord des points de vue, justes ou

fausse, mais uniquement des points de vue a l'aide desquels on crée secondairement les choses» .p.44.

انظر كذلك في هذا الصدد قول العلم الفيزيائي المشهور ألبير أنشتين (A .Einstein) في كتابه" الهندسة والتجربة" بخصوص البديهيات الهندسية حيث يقول: « ces axiomes sont des créations de l'esprit humain » voir : Dictionnaire Larousse de citations 2000 –

وقديما كانت الحقيقة الهندسية حقيقة واقعية وحقيقة فكرية معا ؟ أما اليوم فإنّ الهندسة تهمل الجانب الأول (ما يتعلق بالواقع وتتركه للهندسة التطبيقية ولا تحتفظ إلا بالجانب الثاني (ما يتعلق بالعقل). انظر: محمد عابد الجابري، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، بيروت: دار الطليعة، 1982، ص74.

8. . L. Hjelmslev, le langage, Paris, Minuit, 1963, p. 27.

9. ذلك أن النظرية العلمية ، كما هو متعارف عليه في الأدبيات الابيستمولوجية، ليست مجموعة مسلمات دوغمائية مسبقة بل هي إطار مفتوح للبحث من خلال الذهاب والإياب بين النظري والتجريبي .

10. والتوافق هنا هو غير التكافؤ في المنطق الصوري الذي يرمز إليه بنفس الرمز.

11. نعني بالواقع المادي المحسوس ما يطلق عليه سوسير مصطلح المادة. انظر ما يلي من المقال.

12. نعني بالفرض النظري في هذا السياق ما يسميه سوسير بـ "وجهة النظر".

13. أوزفلد ديكرو، "نظرية الأفعال الكلامية من سوسير إلى فلاسفة اللغة"، مجلة الفكر العربي، العدد10، المركز ليبيا، فرع لبنان، 1990.

14. يوحي لنا كلام ديكرو ضمنيا (المسكوت عنه) إلى الإجحاف الكبير الذي لقيّه الفكر السوسيري.

15. فردينان دي سوسير ، دروس في الألسنية العامة، المرجع السابق، ص27.

16. E .Benveniste, problèmes de linguistique générale, Tunis, Cérès, 1995.« Saussure est d'abord et toujours l'homme des fondements il va d'instinct aux caractères primordiaux, qui gouvernent à la diversité du donné empirique ».p 38.

17. يطلق سوسير مصطلح (développement) للدلالة على مصطلح التوسع أو الانتقال الذي يعبر عنه في الأدبيات الأصولية الأجنبية بـ : (Progression) وذلك حين يقول :

F. De. Saussure, Cours de linguistique générale, édition critique préparé par T.de Mauro, Paris, Payot, 1979 : « le problème linguistique est avant tout sémiologique est tous nos développement empruntent leur signification a ce fait important », p p. 34. 35. et voir: p.83.

ومن الجدير أن نشير إلى أن الترجمة التونسية للمحاضرات قد ترجمت هذا المصطلح بـ: التحليلات.

18. F. De. Saussure, Ecrits de linguistique générale, texte établie et édité par : Simon Bouquet et Rudolf Engler, Editions Gallimard, 2002. p 17.

19. فردينان دي سوسير ، دروس في الألسنية العامة، المرجع السابق، ص.112.

20. على أن مونان قد اعترض على هذا المبدأ معتمدا في ذلك على ما ورد في المخطوطات حيث ذهب القول به إلى أن هذه العبارة لم تكن بهذا الوضوح العجيب في المخطوطات وهو بذلك يوحي إلى أن يد الناشرين قد امتدت إليها فهذبتها و صاغتها صياغة فلسفية عامة. أنظر: جورج مونان ، اللسانيات في القرن العشرين ، الأصل الفرنسي ، ص63.

21. إن هذا المصطلح يستحق الشرح لأنه ذو دلالة أصولية في غاية الأهمية، فهو يقابل مصطلح الإنشاء، كما أن المخطوطات المنشورة حديثا تبين لنا بوضوح تام هذه المقدمة التي بنى عليها سوسير إجراءات تحديد الأحداث اللغوية حيث يقول :

F. De Saussure, Ecrits de linguistique générale, ibid., « pas la moindre possibilité d'apercevoir ou de déterminer un fait linguistique hors de l'adoption préalable d'un point de vue », p.25.

22. F.de.Saussure, Cours de linguistique générale, ibid : « bien loin que l'objet précède le point de vue, on dirait que c'est le point de vue qui crée l'objet » p.21.

ورد في ترجمة الدروس لمحمد عجينة ومحمد الشاوش مصطلح (objet) في هذه الفقرة من المحاضرات مترجما بكلمة "الشيء". انظر: دروس في الألسنية العامة، المرجع السابق، ص27.

23. وهذا يعني أن اللسان شكل (صورة) وليست ماهية (مادة)، وعليه فإنّ المقولة بعيدة كلّ البعد عن التأويل البنيوي المتطرف الذي جاء بعد سوسير.

24. والموضوع العلمي غير المادة الموضوعية الخامة، ذلك أنّ الموضوع العلمي ناتج عن نشاط معرفي، (ناتج عن التحليل كما يقول سوسير) بمعنى أن العالِم يقوم بالاعتماد على إجراءات التحليل والتركيب بصياغة الموضوع، فهو على هذا ذو طبيعية إنشائية (constructive).

25. انظر القاموس الموسوعي لعلوم اللسان لديكرو وتودروف، الأصل الفرنسي، باب الفرق بين اللسان والكلام .

26. L.J. Calvet, Pour et contre Saussure, Paris, Payot ,1975 . « [...] mais on Sait aussi que la langue est au fond un objet que S'inventent

les linguistes, un objet par le (les) point (S) de vue adopté(S) [...] ».p.58.

27. بالمعنى أن العقل لا ينجح في إحلال النظام في هذه الكتلة من الأحداث التي يتعذر إدراكها وعقلنتها، أي يخفق في اكتشاف علاقات وترتيبات الظواهر والأحداث فيما بينها. وأكبر علاقة تدخل في تركيب القوانين العامة كما تبينه لنا الدراسات الأصولية هي علاقة التضمن أو اللزوم (implication) .

28. F. De. Saussure, Ecrits de linguistique générale, ibid. : « [le langage est] composée de faits hétérogène, formant un ensemble inclassable » p.298.

29. يستمد هذه الإجراء مشروعيته من اقتضاء المعقولية، في مقابل دراسة اللسان الذي من خلال تعريفه يقدم للعقل (الفكر بعبارة سوسير) نقطة ارتكاز مرضية. انظر قول سوسير:

F.de.Saussure, Cours de linguistique générale, ibid, « la langue seule parait être susceptible d'une définition autonome et fournit un point d'appui satisfaisant pour l'esprit », p.25.

30. هناك ملاحظة هامة بهذا الصدد مفادها أن ما ورد في المحاضرات، الأصل الفرنسي، ص25 من القول:

« Qu'on ouvre la porte a plusieurs sciences–psychologie, anthropologie, grammaire normative, philologie, etc – que nous séparons nettement de la linguistique », p.25.

تتمثل الملاحظة الهامة في كون الجملة التي سطرنا عليها نحن لا أصل لها في المخطوطات فهي على هذا إضافة من الناشرين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن إثبات هذا الفصل الصارم بين اللسانيات وعلم النفس والأنثربولوجيا والنحو المعياري والفيلولوجيا يتناقض مع ما

ورد في الصفحة 32 من المحاضرات ، الأصل الفرنسي ، المرجع السابق حيث ربط فيها سوسير اللسانيات بعلم العلامات وهذا الأخير يشكل جزء من علم النفس .

31. يتضح لنا من خلال هذا البحث مدى استحالة تعريف اللسان خارج إطار معرفي محدد المعالم أي خارج نظرية معرفية شاملة أو خارج نموذج معرفي واضح.

32. والبديل في هذا المقام غير الترجيح لأن الأطروحة منسوبة إلى سوسير.

33. من المرجح أن تكون . في اعتقادنا . هناك علاقة تأثير وتأثر بين سوسير في البناء على هذا الأصل وبين أندري نفيل (Naville) صاحب كتاب تصنيف العلوم (الذي نشرت الطبعة الأولى منه سنة 1880) وهو عميد كلية الفنون والعلوم الاجتماعية بجامعة جنيف، ويتضح ذلك فيما أورده كيدروف (Kidrov) في تحليله لمبادئ التصنيف التي بني عليها نفيل نظامه لتصنيف العلوم حيث يقول :

B.Kidrov, classification des sciences, Moscou, 1980. «C'est notre rapport subjectif a l'objet constituent le contenu d'une « question » ou d' « un point de vue » qui est à la base de toute le système de Naville en tant que principe méthodologique essentiel et du schéma concret des sciences », p. 48.

34. .F. Gadet, Saussure une science de la langue, Paris. P.U.F, 1987 « pas d'objet antérieur a l'analyse » p73. Cette phrase d'une note de Saussure (Sources.M .p 47).

35. ينتقد سوسير أشد الانتقاد في هذه القضية النظرة الوضعية، ويعتبر أن موطن الوهن في الخطاب اللساني القديم هو اعتبار موضوع العلم اللساني شيئا قابلا للملاحظة المباشرة (بمعنى أنّ المادة هي صفته الذاتية).

36. F.de.Saussure, Cours de linguistique générale, ibid:« la langue au contraire, est un tout en soi et un principe de classification », p. 25.

يرجح هذا القول الأخير لسوسير مقولته التي ختم بها الناشرون المحاضرات، ولكن ما هو المقصود من المصطلح السوسيري (classification) يشرح لنا ديكرو هذا المصطلح بقوله إنّ هذا المصطلح يَرِدُ غالبا في مدونة المحاضرات مرادفا لمصطلح الفهم (compréhension).

37. يمكن إذا أن نتوسع في المعادلة السالفة بإدراج العناصر الأولية للموضوع الذي رمزنا له بـ: (م)، والشرط بـ (ش) بحيث تصبح المعادلة كالتالي: (م = ش1+ ش2) =ع، إذا وفقط إذا، كان ف صحيحا.

38. بنّ ناصر البعزاتي، خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة، دار الأمان، الرباط2007 ص109.

39. عبد الهادي بن الظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، ط 1بيروت2004 ص 473.

40. إفيتش ميلكا، اتجاهات البحث اللساني ، تر: سعد عبد العزيز مصلوح ، وفاء كامل فايد، سوريا، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، 1996م:« إنّ فكرة المصادفة في التفكير اللساني العالمي الحديث ليست جديدة فإنّ جذورها نجدها مثلا عند شلايشر »، ص.59.

41. في هذا يقول سوسير إنّ الطابع الاجتماعي للسان هو طابع داخلي وجوهري فيه .

42. على أنّ هذا لا يفهم منه أنّ سوسير يسلم بنظرية المواضعة والاصطلاح التي اقتبسها أول الأمر من واتني ثم عدل عنها و تجاوزها بداية من سنة 1894. انظر

43. F. De. Saussure, Cours de linguistique générale , ibid, p. 24, note N° 63, p. 419.

44. F. De Saussure, Ecrits de linguistique générale, ibid : « langage = sujet parlent comme être humaine ». p.130.

45. F. De Saussure, Ecrits de linguistique générale, ibid:« langue = sujet parlent comme être sociale ». p.130.

46. إنّ اقتصار سوسير على وصف الكلام بالفعل الفردي . على حد قول برونكار. وذلك من حيث الالتفات إلى آليته النفسية المتمثلة في الإدراك وحفظ الذاكرة للصور السمعية وكذلك من حيث النشاط العصبي المعقد الذي يصاحب عملية التلفظ، أي كلّ الشروط النفسية والبيولوجية المساهمة في النشاط الكلامي صحيح من حيث المبدأ وذلك بالنظر إلى أن العمليات النفسية البيولوجية تجري على مستوى دائرة الفرد. انظر:

J.P.Bronckart, théories du langage, Bruxelles, PierreMardaga, 1977. p.105

47. من هذه الحيثية فقط وذلك ما يوضحه سوسير في قوله:« ذلك أنّ الجزء التحصيلي لا يحدث أبدا عبر الجماعة فهو عمل فردي دائما» . انظر المحاضرات، الأصل الفرنسي، المرجع السابق، ص ص 24. 25.

48. على أنّ هذا لا يعني إطلاقا أن الكلام بالمعنى السوسيري يقتصر على مجرد التأدية الفردية السلبية كما فهمه البعض، أي عملية الإنجاز الصوتي النطقي للمقاطع الصوتية بنبراتها ونغماتها الخاصة بكل فرد، وإنما يعني كذلك الآلية النفسية البيولوجية التي تسمح بتحصيله، حيث يقول سوسير :

F. De. Saussure, Cours de linguistique générale, ibid, « Le mécanisme psycho-physiologique qui lui [sujet parlant] permet d'extérioriser ces combinaisons » p. 31.

وقد احتج سوسير لهذه القضية بالحالة التي يحدث الإنسان نفسه دون استخدام جهاز التصويت.

49. فردينان دي سوسير ، دروس في الألسنية العامة، المرجع السابق، ص.27.

50. F. Gadet, ibid, « la totalité des faits de langage relève de la matière, mais la linguistique va se donner pour objet la langue comme système formel »p73.

51. Charles Bally, le langage et la vie, Genève, librairie Droz, 1952 : « en un mot, la définition saussurienne de la langue, et celle la seule confère a la linguistique le caractère d'une science autonome », p. 152.

52. F. De. Saussure, Cours de linguistique générale, ibid, p. 385.

53. وهذا ما نقرأه في المخطوطات المنشورة حديثا (2002):

« Whitney a dit le langage est une institution humaine cela a changé l'axe de la linguistique », ibid, p. 211.

54. وبناء على انتقاد سوسير لمنهجية واتني في هذه القضية، ثم تجاوزه فيما بعد لمبدأ العرفية باعتباره مصادرة أصولية قاعدية سنة 1894، كما أن سوسير لم يستشهد بواتني إلا أربع مرات في المحاضرات كلها، نرد على تشومسكي فيما ذهب إليه من افتراض التأثير الواضح والواسع الذي مارسه واتني على سوسير وذلك في قوله :

N.Chomsky, le langage et la pensée (tr :L.J.Calvet), Payot,1994:«W.D.Whitney, a l'évidence influença grandement Saussure », p. 37.

55. E. Benveniste, ibid « […] le fait n'existe qu'en vertu de la définition que nous lui donnons ». p. 39.

56. والواقع أنّ كلّ التعريفات التي اقترحها العلماء للسان البشري منذ أرسطو إلى القرن العشرين تنبي على أصلين من حيث الاعتبار (في حالة ما إذا افترضنا الاتحاد بالذات):

أ . تعريف للسان باعتبار الغاية: التعبير عن الفكر (عند الفلاسفة وأصحاب المنطق)، التواصل (سوسير ومن جاء بعده).

ب . تعريف اللسان باعتبار الوسيلة: أصوات (أرسطو، ابن جني...إلخ)، نظام من العلامات (سوسير ومن جاء بعده) .

57. F. De Saussure, Ecrits de linguistique générale, ibid, « mais la définition conséquent qui part a un endroit quelconque d'une base je ne dit pas absolue, mais choisie expressément comme base irréductible pour nous, est centrale de tout le système » p 34.

58. وهو ما يشرحه لنا الجابري، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، بالنسبة إلى الرياضيات حيث يقول : « لقد أصبح المهم في القضايا [خاصة الأولية منها] التي تتخذ أساسا يشيد عليه البرهان الرياضي هو الدور الذي تلعبه هذه القضية في هذا البناء، لا مقدار ما تتمتع به من الوضوح أو البداهة»، ص73.

59. إنّ المقصود بالتفسير في النظرية السوسيرية هو تفسير اشتغال اللسان وليس من هذا قولهم إنّه يستحيل على شيء مُجرد (اللسان كما عرفه سوسير) أن يكون وسيلة للتواصل، لأنّ الوسيلة حسبهم تشمل وتتضمن المعنى المادي للأداة. وهذا النقد يبني على الاعتقاد الساذج الذي أشرنا إليه سالفا.

60. . J. Ullmo, la pensée scientifique moderne, Paris, Gallimard, 1969 : « les objets [scientifique] sont plus puissants que les lois parce qu'ils suggèrent des structures ». p. 99.

61. فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة،المرجع السابق: « ونحن نؤمن بأن كل ما يتعلق باللغة من حيث هي نظام يجب أن نتناوله من هذه الزاوية التي لم تستوقف علماء اللغة إلا قليلا، وهي الحد من الاعتباطية. وفي ذلك أفضل المنطلقات الممكنة» ص199..